مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

آراء ابن الجوزي واعتراضاته على بعض النحويين من خلال تفسيره (زاد المسير في علم التفسير)

أبو حنيفة عمر الشريف علي [1] – عماد عوض الزين علي [2]

المستخلص:

جاءت هذه الدراسة المسماة آراء ابن الجوزي واعتراضاته على بعض النحويين انسجامًا مع الدراسات التي خدمت هذا المؤلف القيم، ومن أهداف الدراسة التي تسعى إلى تحقيقها: التعريف بابن الجوزي، وقد قام الباحثان بإبراز الجهد النحوي له متمثلًا في مذهبه واختياراته، إضافةً إلى توضيح اعتراضاته النحويّة على بعض آراء النّحاة، وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته طبيعة الدراسة، ومن ثَمّ خرجتْ بنتائج من أهمها : أنَّ ابن الجوزي بصري المذهب غير أنه لا يتقيد بمذهبه في جميع اختياراته،وأن الجهود النحوية في تفسيره مبنية بين الربط بين وجوه الإعراب ووجوه التفسير ، ومن خلال هذا الربط كانت له وقفات انتقادية معتدلة يصل من خلالها إلى تقرير المسألة.

ABSTRACT:

This paper – entitled "Ibn al-Jawzi's objections to the some viewpoints of the grammarians" – comes as a continuation of the studies that served this unequaled scholar. The researchers expose his grammatical efforts represented in his school and selections. However, this paper aims to introduce Ibn al-Jawzi, shows his grammatical approach and explains his grammatical objections to some viewpoints of the grammarians. The paper uses Descriptive and Analytical approaches for their relevancy to the nature of the study. The study concludes that, after presenting its material, Ibn al-Jawzi belongs to Basra School but he didn't stick to the school in all his selections rather he had moderate critical standpoints through which he decide on the issue.

الكلمات المفتاحية:

الموقف - المذهب - الخلاف - الاعتراض

1- قسم اللغة العربية- كلية اللغات- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

2- كلية الدراسات العليا- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المقدمة:

الحمد لله على إحسانه والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى جميعآله وإخوانه. أما بعد

فجاء عنوان هذه الدراسة (آراء ابن الجوزي واعتراضاته على بعض آراء النحويين) وتكمن أهمية الموضوع في أنَّ أولى ما تقترحه القرائح، وأعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسر به فهم كتاب الله المنزل، ويتضح به معنىحديث نبيَّهُ المرسل، فإنهما الوسيلة إلى السعادة الأبدية والذريعة إلى تحصيل المصالح الدينية والدنيوية وأصل ذلك علم الإعراب الهادي إلى صوب الصواب[52].

أهداف الدراسة:

1- التعريف بابن الجوزي – رحمه الله – وحياته العلمية كأنموذج يحتذى به في التحصيل العلمي وذلك أنه رجل واسع الاطلاع كثير التصانيف.

2- إبراز آثاره العلمية ومذهبه النحوي الذي سلكه في المسائل النحوية.

3- دراسة الجهود النحوية من خلال آرائه، واختياراته واستداركاته على النحويين ومن ثم تقويم هذه الجهود والوصول بها إلى نتائج تفيد الدارسين.

منهج الدراسة: استخدم الباحثان في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته طبيعة الدراسة.

مشكلة البحث: تكمن في:

1- ارتباط الدراسة بتفسير الكتاب العزيز وهذا يتطلب مزيدًا من الدقة والتأني خوف الوقوع في الذلل.

2- استخدام ابن الجوزي لمصطلحات النحويين جعل الباحثين يرجعان إلى كتب الخلاف المهتمة بهذا الشأن.

3- ذكر ابن الجوزي آراء جميع النحويين الموثوق بعلمهم دون ذكر أسمائهم جعل الباحثين يتقصيان في معرفتهم.

التعريف بابن الجوزي:هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر ينتهي نسبه إلى خليفة رسول اللهأبي بكر الصديق ﷺ فهو عربي أصيل قرشي تيمي قال عن نفسه: يا بنيَّ اعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق وأبونا القاسم محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر ﷺ[53].

أما كنيته ولقبه فأبو الفرج، وكان يلقب وهو صغير بالمبارك ثم لقب بجمال الدين، شيخ وقته، وإمام عصره، والأديب[54].

ولد ابن الجوزي بدرب حبيب بغداد، واختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده، فذهب البعض إلى أنه ولد في سنة تسعوخمسمائة، وقيل عشر وخمسمائة، ولكن سبطه ذكره في حوادث سنة عشر، قال: (وفيها ولد جدي – رحمه الله – على وجه الاستنباط لا على وجه التحقيق، وقد سألته عن مولده غير مرة وفي كلها يقول:ما أحقق ولكنه يكون تقريبًا سنة عشر وخمسمائة) [55].

حياته العلمية: ولما بلغ سن التمييز أخذته عمته إلى الشيخ أبي الفضل محمد بن ناصر الفقيه اللغوي، الذي تولى تعليم ابن الجوزي وتثقيفه، وحفّظه القرآن،

(52)ابن هشام، جمال الدين (2012م) مغنى اللبيب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله راجعه سعيد الأفغاني، الطبعة الأولى، ص11.

(53) ابن الجوزي،(1987م) لفتة الكبد إلى نصحية الولد، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 57.

(54) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (2005م)، زيل طبقات الحنابلة، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ج2، مكتبة العبيكان، ص462.

(55) شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي (1987م)، مرآة الزمان في تاريخ الملوك و الأعيان، تحقيق: سفر بن عريج الغامدي،مركز احياء التراث الاسلامي، مكةالمكرمة، ص630

والحديث، وساعده في الوصول إلى العلماء المختصين في شتى العلوم[56].

ولقد كان ابن الجوزي – رحمه الله – شغوفًا محبًا للعلم مهما كلفه من عناء في طلبه، فهو يقول في ذلك: (ولقد كنت في حلاوة طلبي ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو: كنتُ في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء) [57].

ولم يقتصر ابن الجوزي على فنٍ واحدٍ من فنون العلم، فهو نفسه يقول: (ولم أقنع بفنٍ واحدٍ بل كنتُ أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأتُ العربية، ولم أترك أحدًا ممن يروي ويعظ، إلا وأحضره)[58].

وليس شيء أدل على نبوغه العلمي من مؤلفاته فقد قام عبد الحميد العلوجي على جمع كتبه أحصى فيها حوالي تسعة عشر وخمسمائة كتابمما أوردته المصادر منسوبًا إليه. [59].

وليس شيء أدل على مكانته العلمية من قول إمام الجرح والتعديل الذهبي– رحمه الله – فيه: (الواعظ المتفنن صاحب التصانيف الكثيرة في أنواع العلم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والأخبار والتاريخ وغير ذلك، وعظ من صغره وفاق الأقران، ونظم الشعر المليح وكتب بخطه ما لا يوصف ورأى القبول والاحترام ما مزيد عليه) [60].

رغم هذه المكانة العلمية وقد أخذ العلماء علي ابن الجوزي بعض المآخذ منها:

1- ميله إلى التأويل وقد تولى الرد عليه عالم معاصر له وهو الشيخ إسحاق بن أحمد بن غانم العلثي[61] ردًا عنيفًا طالبًا فيها العودة إلى الحق وإلى ما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل[62]، يقول فيها: (وإذا تأولت الصفات على اللغة وسوغته لنفسك وأبيت النصيحة، فليس هو مذهب الإمام أحمد، فلا يمكنك الانتساب إليه فاختر لنفسك مذهبًا، حتى قال: فلقد استراح من خاف مقام ربه وأحجم عن الخوض فيما لا يعلم، لئلا يندم،....) [63].

2- ما يوجد في كلامه من الترفع قال عنه ابن كثير: (قد كان فيه بهاء وترفع في نفسه وإعجاب وسمو أكثر من مقامه وذلك ظاهر في كلامه في نثره ونظمه فمن ذلك قوله[64]:

ما زلتُ أدْرِكُ ما غلا بل ما علا

وأكابد النهج العسير الأطولا

***

تجري بيَ الآمال في حلباته

جرى السعيد إلى مدى ما أملا

***

لو كان هذا العلم شخصًا ناطقًا

وسألته: هل زار مثلي؟ قال لا

3- كثرة أوهامه وألوانه من ترك المراجعة وذلك؛ لأنه كان كثير التأليف فقد نقل الذهبي عن الموفق عبد

(56) ابن الكثير، عماد الدين(1988م) البداية والنهاية، تحقيق: على شيري، إحياء التراث ، ص35.

(57) ابن الجوزي(2004م) صيد الخاطر، بعناية حسن المساحي سويدان، ط1، دار القلم، دمشق، ص248.

(58) الذهبي(1417هـ) المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، ص238.

(59) العلوجي، عبد الحميد(1965م) مؤلفات ابن الجوزي، طبعة بغداد.

(60) الذهبي(د.ت) العبر في تاريخ من عبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، ص119.

(61) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ص445.

(62) أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد، كنيته أبي عبد الله، أصله من مرو ، مولده بغداد، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وكان حافظًا متقنًا ورعًا فقيهًا مواظبًا علي العبادة، أغاث الله به امة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ينظر (ابن حبان، محمد الدرامي(1973م) الثقات، ج8، دار المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند، ص 19.

(63) المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن (د.ت) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ط1، ج7، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، ص325.

(64) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ج13، ص36.

اللطيف: (كان كثير الغلط فيما يصنفه، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره، وزاد الذهبي: وصنف شيئًا لو عاش عمرًا ثانيًا لما لحق أن يحرره ويتقنه)[65].

وفاته: تعرض ابن الجوزي – في آخر حياته إلى فتنة كانت سبب القضاء في حياته تناقلتها كتب التراجم، توفي رحمه الله – ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان، سنة سبع وتسعين وخمس مائة، وكانت جنازته مهيبة، وحزن عليه الناس لفراقه وباتوا عند قبره الباقي من شهر رمضان، يختمون الختمات القرآنية بالشموع والجماعات[66].

مذهب ابن الجوزي النحوي:

المذهب في اللغة: مصدرٌ، كالذهاب، وذهب به، وأذهبه غيره: أزاله. ويقال: أذهب به، وهو نادر[67]. ولم يذكر ابن الجوزي المذهب النحوي الذي سار عليه، وحينما نتحدث عن المذهب النحوي لابن الجوزي رحمه الله، فإنما نتحدث عنه بعد طول مطالعة لتفسيره، وبعد عرض رأيه وآراء الآخرين فيما يعرض من القضايا النحوية، وبخاصة الخلافية منها. فمن بعد تلك المطالعة، تبيَّن لنا أن ابن الجوزي رحمه الله بصري المذهب؛ ويدل على ذلك عدة أسباب:

أحدها: استخدامه مصطلحات المذهب البصري:

استخدم ابن الجوزي مصطلح "التمييز"، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[68].

قال ابن الجوزي رحمه الله: قوله تعالى (ذهبًا) منصوب على التمييز[69].

(65) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد أحمد(2009م) سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة،ص462.

(66) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص463.

(67) ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، مادة "ذهب"، دار صادر، بيروت، ص394.

(68) سورة آل عمران الآية (91)

(69) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص303.

قلنا: والتمييز عقد سيبويه الكلام عليه في أكثر من موضع، فقال مثلًا: "هذا باب ما ينصب نصب (كم) إذا كانت منونة في الخبر والاستفهام"[70]. وأردف بباب آخر لبعض ما ينصب على التمييز من غير المقادير، فقال: "هذا باب ما ينصب انتصاب الاسم بعد المقادير"[71].

وجاء المبرد، فجمع تلك الأبواب والأقوال المتفرقة مما يتعلق بالتمييز، وعقد لها بابًا سماه "باب التبيين والتمييز"[72].

ويطلق الفراء اصطلاح "التفسير على التمييز"، كما في قوله تعالى (فلن يقبل منهم ملء الأرض ذهبًا). قال الفراء: نصب الذهب لأنه مفسر لا يأتي مثله إلا نكرة[73].

واستخدم مصطلح "البدل" كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[74]

(70) سيبويه، الكتاب(1988م) المحقق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص172.

(71) سيبويه، الكتاب، مرجع سابق، ج2، ص174.

(72) المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس(د.ت) المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، ج3، عالم الكتب، بيروت، ص32.

(73) أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشبلي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ص225.

(74) سورة آل عمران الآية ١٥٤

قال ابن الجوزي رحمه الله: ونعاسًا منصوب على البدل من "أمن"[75]. قلنا: واصطلاح البدل من المصطلحات البصرية. وأما الكوفيون، فقال عنهم الأخفش: يسمونه بالترجمة والتبيين. وقال ابن كيسان: يسمونه بالتكرير[76].

واستخدم – أيضًا – مصطلح "الحال"، كما في قوله تعالى:(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)[77].

قال ابن الجوزي رحمه الله: قوله (إخوانًا) منصوب على الحال، والمعنى: أنهم متوادون، فإن قيل كيف نصب (إخوانًا) على الحال، فأوجب ذلك أن التآخي وقع من نزع الغل، وقد كان التآخي بينهم في الدنيا .

فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: ما مضى من التآخي قد كانت تشوبه ضغائن وشحناء، وهذا التآخي هو تآخي المصافاة والإخلاص. ويجوز أن ينتصب على المدح، المعنى: اذكر إخوانك[78].

قلنا: وقد كان سيبويه أطلق عليه أكثر من مصطلح، حيث يرى: "إن ما كان صفة للمعرفة لا يكون حالًا ينتصب انتصاب النكرة... وإن كان صفةً للنكرة جاز أن يكون حالًا للنكرة، كما جاز حالًا للمعرفة، ولا يجوز للمعرفة أن تكون حالًا كما تكون النكرة، فتلتبس بالنكرة" [79]. فاستقبح تعريف الحال لذلك.

ولهذا يقول ابن مالك[80]:

والحال إن عُرِّف لفظًا فاعتقد

تنكيره معنىً كوحدك اجتهد

وأما الفراء فيطلقه على ما عرف بالقطع؛ ففي قوله عز وجل: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[81] ، قال: "إنه رُفع من وجهين، ونصب من وجهين إذا أردت بـ (الكتاب) أن يكون نعتًا لذلك كان الهدى في موضع رفع لأنه خبر ذلك كأنك قلت ذلك هدى لا شك فيه، وإن جعلت (لا ريب فيه) خبره رفعت أيضًا (هدًى) تجعله تابعًا لموضع (لاريب فيه) كما قال الله عز وجل: (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) كأنه قال: وهذا كتاب، وهذا مبارك، وهذا من صفة كذا وكذا، وفيه وجه ثالث من الرفع: إن شئت رفعته على الاستئناف لتمام ما قبلها كما قرأ القراء (الم تلك آيات الكتاب هدى ورحمة للمحسنين)، فأما النصب في أحد الوجهين، فأن تجعل (الكتاب) خبرًا لذلك، فتنصب (هدىً) على القطع؛ لأن النكرة لا تكون دليلًا على معرفة، وإن شئت نصبت (هدى) على القطع من الهاء في (فيه)، كأنك قلت: لا شك فيه هاديًا"[82].

الثاني: يكثر من نقل ردود علماء البصرة على الكوفة:

فمن ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[83]

قال ابن الجوزي: قوله (تساءلون به والأرحام) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: "تتعاطفون به" قاله ابن عباس[84].

الثاني:"تتعاقدون وتتعاهدون به" قاله الضحاك[85].

(75) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص336

(76) الأزهري، خالد بن عبد الله (2000م) شرح التصريح على التوضيح، الطبعة الأولى،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص190.

(77) سورة الحجر، الآية ٤٧

(78) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص536.

(79) سيبويه، الكتاب، مرجع سابق، ج2، ص57–61.

(80) ابن مالك، محمد بن عبد الله(د.ت) ألفية ابن مالك، الطبعة الأولى ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، ص51

(81) سورة البقرة، الآية 2.

(82) أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، مرجع سابق، ص12.

(83) سورة النساء، الآية ١.

(84) عبد الله ابن عباس، حبر الأمة وفقيه العصر، إمام التفسير، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ابن العباس بن عبد المطلب، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص332

الثالث: "تطلبون حقوقكم به" قاله الزجاج.

فأما (الأرحام) فالجمهور على نصب (الميم) على معنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وفسر على هذا المعنى ابن عباس[86].

وقرأ الحسن[87] وقتادة والأعمش[88] وحمزة بخفض الميم على معنى: تساءلون به وبالأرحام. وفسرها على هذا المعنى الحسن وعطاء[89] والنخعي[90].

وقال الزجاج: الخفض في "الأرحام" خطأ في العربية، لا يجوز إلا في اضطرار الشعر، وخطأ في الدين؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحلفوا بآبائكم)[91].

وذهب إلى نحو هذا الفراء، وقال حمزة[92]: الخبر عن الأمر القديم، الذي جرت به عادتهم؛ فالمعنى: كنتم تساءلون به وبالأرحام في الجاهلية[93].

قال أبو علي: من جرَّ، عطف على الضمير المجرور بالباء، وهو ضعيف في القياس، قليل في الاستعمال، فترك الأخذ به أحسن[94].وبنحو ما يقول يقول الباحثان.

وكذلك في قوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)[95]

قال ابن الجوزي رحمه الله: قوله تعالى (إنما الآيات عند الله) أي: هو القادر على الإتيان بها دون أحد من خلقه، و(ما يشعركم) أي: ما يدريكم[96].

قرأ ابن كثير[97] وعاصم وخلف[98] بكسر الألف، وعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله (يشعركم) للمشركين، ويكون تمام الكلام عند قوله (وما يشعركم) ويكون المعنى: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت؟ وتكون (إنها) مكسورة الهمزة على الاستئناف والإخبار عن حالهم[99].

وقرأ نافع[100] وحفص عن عاصم والكسائي: أنها بفتح الألف. فعلى هذا، المخاطب بقوله (وما يشعركم) رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثم في معنى الكلام قولان أحدهما: وما يدريكم لعلها إذا جاءت لا

(85) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، كان من أوعية العلم وليس بالمجوز حديثه، وهو صدوق في نفسه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، 599/4

(86) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص12

(87) الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي أيسر كعب بن عمرو السلمي، وكانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 546/4

(88) سليمان بن مهران الإمام شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الحافظ، أصله من نواحي الري، قيل: ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان سنة 61هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، 226/6

(89)عطاء بن يسار، تابعي،مولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث روى عن أمهات المؤمنين ميمونة وعائشة وأبي هريرة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق،449/4

(90) أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن زهل بن معد بن مالك بن النخعي اليماني. ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 9/5

(91) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص12

(92) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي، لقب بـ"الزيات"؛ لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان. ينظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير(2000م) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: أنس مهرة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص11.

(93) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، 12/1

(94) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(95) سورة الأنعام، الآية ١٠٩

(96) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص66

(97) عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادن بن فيروزان بن هرمز، الإمام العلم مقرئ مكة، أحد القراء السبع. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص318

(98) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الأندلسي القرطبي الباجي الذهبي، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص536

(99) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص66

(100) نافع بن أبي نعيم بن عبد الرحمن مولى جعونة بن شعوب الليثي، حليف حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم، أصله أصبهاني. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، 337/7

يؤمنون. وفي قراءة "أبي": "لعلها إذا جاءت لا يؤمنون"، والعرب تجعل "أن" بمعنى "لعلّ"؛ يقولون: ائت السوق أنك تشتري لنا شيئًا، أي: لعلك. وإلى هذا ذهب الخليل والفراء في توجيه القراءة[101].

الثاني: أن المعنى "وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون"، وتكون (لا) صلة، كقوله تعالى: (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) [102]

ذكره الفراء ورده الزجاج[103]. ومثل هذه النقول كثيرة في تفسيره رحمه الله.

الثالث: مما يؤكد على أنه بصري المذهب، يكثر ابن الجوزي رحمه الله في كثير من المسائل الخلافية النحوية من ذكر إجماع البصريين، ومن ذلك في قوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)[104]

قال ابن الجوزي: قوله (حصرت) فيه قولان:

أحدهما: أن فيه إضمار "قد".

ثانيهما: أنه خبرٌ بعد خبر، قوله (جاءوكم) خبر قد تمّ، و(حصرت) خبر مستأنف حكاهما الزجاج[105].

قلنا: هذا نقلٌ لإجماع البصريين إلى أن الفعل الماضي الواقع حالًا لا بد معه من "قد" ظاهرة، نحو قوله تعالى:﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾[106]، أو مضمرة نحو قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[107]

ولهم في ذلك حججٌ؛ قالوا: إنما قلنا: إنه لا يجوز أن يقع حالًا، وذلك لوجهين: أحدهما: إن الفعل الماضي لا يدل على الحال، فينبغي ألا يقوم مقامه[108]. الثاني: إنما يصلح أن يقوم مقام الحال ما يصلح فيه "الآن" و"الساعة"، نحو: مررتُ بزيدٍ يضربُ، نظرتُ إلى عمرو يكتبُ؛ لأنه يحسن أن يقترن به الآن والساعة. وهذا لا يصلح في الماضي، فينبغي ألا يكون حالًا... ولا يلزم مع كلامنا إذا كان مع الماضي "قد" يجوز أن يكون حالًا، نحو: مررتُ بزيدٍ قد قامَ، وذلك لأن "قد" تقرب زمن الماضي من الحال، فجاز أن يقع حالًا[109].

أما الكوفيون، فذهبوا إلى أنه يجوز أن يقع حالًا، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين. واحتجوا على الجواز بالنقل والقياس، أما القياس فقوله تعالى: (أو جاءكم حصرت صدورهم)، فـ(حصرت) فعل ماضي، وهو في موضع الحال، وتقديره: حَصِرةً صدورهم، والدليل على صحة هذا التقدير: قراءة من قرأ "أو جاءوكم حَصِرَةً صدورهم"، وهي قراءة الحسن البصري ويعقوب الحضرمي[110].

وأما القياس، فلأن كل ما جاز أن يكون صفة لنكرة، نحو: مررتُ بالرجلِ قاعدًا، أو: بالغلامِ قائمًا، والفعل الماضي يجوز أن يكون صفة للنكرة، نحو: مررتُ برجلٍ قعدَ، و: غلامٍ قامَ. فينبغي أن يجوز أن يقع حالًا

---

(101) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص66

(102)سورة الأنبياء، الآية ٩٥

(103) المرجع نفسه، الصفحة نفسها

(104) سورة النساء، الآية،٩٠.

(105) المرجع نفسه، الصفحة نفسها

(106)سورة الأنعام، الآية ١١٩

(107) سورة النساء الآية ٩٠

(108)الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري(د.ت) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، ص206.

(109) المرجع نفسه، ص205.

(110) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق، الإمام المجود الحافظ مقرئ البصرة، أبو محمد الحضرمي، مولاهم البصري، أحد العشرة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق،170/10

للمعرفة، نحو: مررتُ بالرجلِ قعدَ، و: بالغلامِ قامَ... وما أشبه ذلك.

والذي يدل على أنا أجمعنا على أنه يجوز أن يقوم الفعل الماضي مقام الفعل المستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[111]

أي: يقول، وإذا جاز أن يقام الماضي مقام المستقبل، جاز أن يقام الماضي مقام الحال[112].

وهذا المذهب يرتضيه الباحثان؛ وذلك لأمور:

أحدها: دلالة النقل والقياس عليه.

الثاني: حجية قراءة من قرأ "أو جاءوكم حَصِرةً صدورهم".

الثالث: مذهب لاتباع الأيسر دون تقدير، وهو أمر دعت إليه السنة؛ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه... الحديث[113].

موقف ابن الجوزي من المذهبين (البصري والكوفي):

تقدم أن ابن الجوزي رحمه الله بصري المذهب، إلا أنه كان لا يتقيد بمذهبه في جميع آرائه واختياراته، وإنما كان ينظر فيها وينتقي منها ما كان أسعد بالدليل.

ويتضح ذلك من تفننه في الاختيار؛ فبينما تجده يختار في كثير من القضايا النحوية المذهب البصري، تجده يختار في مسائل متعددة المذهب الكوفي، وأحياناً يذكر مسائل الخلاف دون ترجيح، كما ذكرنا ذلك في توضيح منهجه:

أولًا- متابعته المذهب البصري:

لقد تتبعنا ابن الجوزي رحمه الله وهو يستعرض المسائل النحوية، فوجدناه قد وافق البصريين في أغلب مسائله، ومن موافقته لهم أيضًا في مسألة "القول في العطف على اسم (إنَّ) بالفرع قبل مجيئ الخبر"[114] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[115]

قال ابن الجوزي رحمه الله: ذكر الزجاج عن جميع البصريين، منهم: الخليل وسيبويه: إن قوله (والصابئون) محمول على التأخير مرفوع بالابتداء، والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، و(الصابئون) كذلك[116].

قلنا: نقل في ذلك ردّ البصريين على الكوفيين، فهو موافق لهم في ذلك. وأما الكوفيون، فذهبوا إلى أنه يجوز العطف على موضع "إن" قبل تمام الخبر، واختلفوا بعد ذلك؛ فذهب أبو الحسن الكسائي إلى أنه يجوز على كل حال، سواء كان يظهر فيه عمل "إن" أو لم يظهر، وذلك نحو قولك: "إن زيدًا وعمرٌ قائمان، وإنك وبكرٌ منطلقان. وذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء إلى أنه يجوز ذلك إلا فيما لم يظهر فيه عمل "إن"[117].

([111]) سورة المائدة الآية ١١٠.

(112)الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص206.

(113) مسلم بن الحجاج، شرح النووي، دار الخير، 1416هـ، كتاب الفضائل، باب: مباعدة النبي صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، رقم الحديث 2327

(114) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مرجع سابق،158/1

([115]) سورة المائدة الآية٦٩

(116) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، 570/1

(117)الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مرجع سابق، 151/1

وذكر أبو جعفر النحاس كلام الكسائي والأخفش قالا: "والصابئون" عطف على المضمر الذي في "هادوا"، وقال الفراء: إنما جاز الرفع؛ لأن "الذين" لا يبين فيه الإعراب. قال أبو جعفر: وسمعتُ أبا إسحاق يقول – وقد ذكر له قول الأخفش والكسائي: هذا خطأ من جهتين؛ أحدهما: أن المضمر المرفوع يقبح العطف عليه حتى يؤكد. والجهة الأخرى أن المعطوف شريك المعطوف عليه، فيصير المعنى: إن الصابئين قد دخلوا في اليهودية، وهذا محال[118].

ثانيًا- متابعته المذهب الكوفي:

تتبعنا مذهب الشيخ وهو يستعرض المسائل النحوية، فوجدناه قد وافق الكوفيين في بعض المسائل، وفيما يلي أنموذجين يثبتان هذه الحجة:

أحدهما: في أصل اشتقاق الاسم:

قال ابن الجوزي رحمه الله في مقدمته: "... فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطويًا على العلم الغزير، ووسمته بـــ(زاد المسير في علم التفسير)"[119]. إذن، هو موافق للكوفيين في اشتقاق الاسم من الوسم[120].

قال أبو البقاء العبكري: والاسم عندنا مشتق من السمو، وقال الكوفيون: مشتق من الوسم، فالمحذوف عندنا لامه، وعندهم فاؤه[121]. إلا أنَّ الباحثين يريان خلاف ما ذهب إليه ابن الجوزي؛ وبنحو ما يريان قال العُكبري حيث يقول: (إن المعتمد يعود في التصريف إلى موضع اللام، أنك تقول: سميت، وأسميت. وفي التصغير: "سُمَي"، وفي الجمع: "أسماء"، و"أسامي". وفي فَعِيل منه: "سَمِي"، أي: اسمك مثل اسمه. ولو كان المحذوف من أوله لعاد في التصريف إلى أوله، وكان يقال: أوسمت، ووسمتُ، ووسيم، وأوسام)[122].

الثاني: وافق ابن الجوزي رحمه الله الكوفيين في جواز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[123]

قال ابن الجوزي رحمه الله: قال الفراء: أُضيفت الدار إلى الآخرة، وهي الآخرة؛ لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، لقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ)[124] ،والحق هو اليقين. وقولهم: آتيك عام الأول، ويوم الخميس[125]. وأمَّاالبصريون فاحتجوا بان قالوا إنَّما قلنا إنه لا يجوز لانَّ الإضافة إنَّما يراد بها التعريف والتخصيص ، والشئ لا يتعرف بنفسه لانَّه لو كان فيه كان مستغنيًا عن الإضافة ، وإن لم يكن فيه كان بإضافته إلى اسمه أبعد من التعريف؛ إذ يستحيل أن يصير شيئًا آخر بإضافته اسمه إلى اسمه فوجب أن لايجوز كما لو كان لفظهما متفقًا، وأمَّا الجواب عن الكوفيين :فمحمول على حذف المضاف[126].

قال أبو جعفر: واحتج الكسائي بقولهم: صلاة الأولى. واحتج الأخفش بقولهم: مسجد الجامع. قال أبو جعفر: إضافة الشيء إلى نفسه محال؛ لأنه إنما يضاف الشيء إلى غيره ليعرف به، والأجود "الصلاة الأولى"؛ لأنها

(118) النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (د.ت) المرادي، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ص276.

(119) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، 11/1

(120) ابن الانباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مرجع سابق، 9/1

(121) العكبري، عبد الله بن الحسين عبد الله (1992م) مسائل خلافية في النحو، تحقيق: محمد خير الحلواني، الطبعة الأولى، دار الشرق العربي، بيروت، ص59.

(122) المرجع نفسه، ص60

(123) سورة يوسف الآية ١٠٩

(124) سورة الواقعة، الآية ٩٥

(125) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، 477/2

(126) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مرجع سابق، 357/2.

أول ما صلى حين فرضت الصلاة، والتقدير "ولدار الآخرة خير"[127].

ويؤيد الباحثان ما ذهب إليه ابن الجوزي في رأي الكوفيين؛ إذ أنهم جعلوا اختلاف المثلين في اللفظ بمنزلة اختلافهما في المعنى، وبذلك سلموا من التأويل الذي اضطر إليه البصريون، واختار ابن مالك مذهبهم في التسهيل[128].

ثالثًاــأحياناً يذكر ابن الجوزي رحمه الله مسائل الخلاف دون ترجيح لمذهب، إما أنه يرى الجواز،أو أنه يحكي المذاهب. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[129]

قال ابن الجوزي رحمه الله: واختلفوا في جواب "لو" على قولين: أحدهما أنه محذوف، وفي تقدير الكلام قولان أحدهما: أن تقديره "لكان هذا القرآن" ذكره الفراء وابن قتيبة. قال قتادة: لو فُعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم. والثاني: لو كان هذا كله لما آمنوا. ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[130]، قاله الزجاج[131].

الثاني: أن جواب "لو" مقدم، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ولو أنزلنا عليهم ما سألوه.. قاله الفراء[132].

اعتراضاته على بعض آراء النحويين:

خاض ابن الجوزي رحمه الله غمار النحو، وصال وجال في صفوف النحويين، فإن من يطالع تفسيره، يجد فيه أقوال الخليل ويونس، ونقول سيبويه، وآراء الفراء والأخفش والمبرد والزجاج... وغيرهم. فجميع هؤلاء الأعلام ذكر أعيانهم، وتعرض لآرائهم، وكانت له وقفات انتقادية عند بعض آرائهم، وهو حينما ينتقد رأيًا، فإنما ينتقده بطريقة معتدلة، يصل من خلالها إلى تقرير المسألة من غير تثريب على صاحب رأي، أو حط من قدره، ويكتفي برد أقوالهم. وسنذكر نموذجين من اعتراضاته ونقده:

النموذج الأول:

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[133]

قال ابن الجوزي رحمه: قال الفراء: "بشرًا" منصوب؛ لأن الباء قد استعملت فيه، فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما حذفوها، أحبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه، فنصبوا على ذلك. وكذلك قوله تعالى:﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[134]. وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وبغير الباء، فإذا أسقطوها رفعوا، وهو أقوى الوجهين في العربية[135].

قال ابن الجوزي رحمه الله: قال الزجاج: قوله "الرفع أقوى الوجهين" غلطٌ؛ لأن كتاب الله أقوى اللغات، ولم يقرأ بالرفع أحد. وزعم الخليل وسيبويه وجميع

(127) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، مرجع سابق،216/2

(128)الأندلسي، محمد بن عبد الله بن مالك(2001م) شرح كتاب التسهيل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص96.

([129]) سورة الرعد، الآية ٣١

([130])سورة الأنعام، الآية ١١١

(131) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، 496/2

(132) المرجع السابق، ج2، ص496.

([133]) سورة يوسف، الآية ٣١

([134]) سورة المجادلة الآية ٢

(135) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ج2، ص437.
وأبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، مرجع سابق،42/2

النحويين القدماء أن "بشرًا" منصوب؛ لأنه خبر "ما"، و"ما" بمنزلة "ليس"[136].

إلا أن ابن الجوزي استدرك على الزجاج في قوله: ولم يقرأ بالرفع أحد، فقال: قلتُ: وقد قرأ أبو المتوكل[137]وعكرمة[138] في آخرين: "ما هذا بشرٌ"، وقرأ أبي بن كعب[139] وأبو الجوزاء: "ما هذا بِشِريٌّ" بكسر الباء والشين، مقصورًا منونًا.

والذي تبيَّن للباحثين أن ابن الجوزي ينحو نحو الفراء في هذه المسألة، وهذا من لطيف ردّه وحسن خلقه، مع أنهما يخالفانه في ذلك لأمرين ذكرهما الزجاج، أحدهما: أن لغة أهل الحجاز هي اللغة القُدمى الجيدة. الثاني: أن كتاب الله ولغة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى اللغات[140].

النموذج الثاني:

في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[141].

قال ابن الجوزي رحمه الله: وقد ذكرنا في الآية التي قبلها أنهم حلفوا أنهم ما نطقوا العيب. وحكى الزجاج عن بعض النحويين أنه قال: اللام في (ليرضوكم) بمعنى: القسم، والمعنى: يحلفون بالله لكم ليرضونّكم.

(136) المرجع نفسه، ص437

(137) أبو المتوكل الناجي البصري داوؤد، محدث إمام، حدث عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس. ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ، ج5، دار الكتب العلمية، ص9.

(138)عكرمة مولى ابن عباس أبو عبد الله المدني، أصله من البربر من أهل المغرب. ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ، مرجع سابق، ص43.

(139)أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار سيد القراء، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، 236/3

(140)الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، ج3، عالم الكتب، بيروت، ص108.

(141)سورة التوبة، الآية ٦٢.

قال: وهذا خطأ؛ لأنهم حلفوا أنهم ما قالوا. وحكى عنهم ليرضوا باليمين، ولم يحلفوا أنهم يرضون في المستقبل. قال ابن الجوزي: قلنا: وقول مقاتل يؤكد ما أنكره الزجاج، وقد مال إليه الأخفش[142].

ويرى الباحثان أن ابن الجوزي اكتفى برد قول الزجاج وميله للأخفش، دون حط من قدره، وقد أشار لهذا الرأي من قبل.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أعاننا على إكمال هذا البحث الذي حاولنا فيه جمع موجزة تعريفية لابن الجوزي، مع عرض حياته العلمية، وبيان لبعض الجهد النحوي له.

هذا وبعد عرض المادة العلمية توصلنا للنتائج الآتية:

1- أن ابن الجوزي لا يتقيد بمذهبه في جميع آرائه النحوية، وإنما كان ينظر فيها وينتقي منها ما كان أسعد بالدليل.

2- أن ابن الجوزي بغدادي عاش في القرن السادس الهجري، اتخذ مذهب البصرة مذهبًا له في المسائل النحوية.

3- ربط ابن الجوزي بين وجوه التفسير ووجوه الإعراب لذا كانت له وقفات انتقادية عند بعض آرائهم،وهو حينما ينتقد رأيًا ينتقده بطريقة معتدلة يصل من خلاله إلى تقرير المسألة.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1. ابن هشام، جمال الدين (2012م) مغنى اللبيب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله راجعه: سعيد الأفغاني، الطبعة الأولى.
2. ابن الجوزي (1987م) لفتة الكبد إلى نصحية الولد، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(142) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ص273. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، مرجع سابق، ص458

3. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (2005م)، زيل طبقات الحنابلة، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ج2، مكتبة العبيكان.
4. شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوعلي (1987م)، مرآة الزمان في تاريخ الملوك و الأعيان، تحقيق: سفر بن عريج الغامدي،مركز احياء التراث الاسلامي، مكةالمكرمة.
5. ابن الكثير، عماد الدين(1988م) البداية والنهاية، تحقيق: على شيري، إحياء التراث.
6. ابن الجوزي(2004م) صيد الخاطر، بعناية حسن المساحي سويدان، ط1، دار القلم، دمشق.
7. الذهبي(1417هـ) المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت.
8. العلوجي، عبد الحميد(1965م) مؤلفات ابن الجوزي، طبعة بغداد.
9. الذهبي(د.ت) العبر في تاريخ من عبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت.
10. ابن حبان، محمد الدرامي(1973م) الثقات، ج8، دار المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند.
11. المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن (د.ت) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ط1، ج7، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر.
12. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد أحمد(2009م) سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة.
13. ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، مادة "ذهب"، دار صادر، بيروت.
14. سيبويه، الكتاب(1988م) المحقق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة.
15. المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس(د.ت) المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، ج3، عالم الكتب،بيروت.
16. أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشبلي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
17. الأزهري، خالد بن عبد الله (2000م) شرح التصريح على التوضيح، الطبعة الأولى،ج2، دار الكتبالعلمية، بيروت.
18. ابن مالك، محمد بن عبد الله(د.ت) ألفية ابن مالك، الطبعة الأولى ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض.
19. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
20. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير(2000م) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: أنس مهرة،الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت.
21. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري(د.ت) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية.
22. النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (د.ت) المرادي، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.
23. العكبري، عبد الله بن الحسين عبد الله (1992م) مسائل خلافية في النحو، تحقيق: محمد خير الحلواني، الطبعة الأولى، دار الشرق العربي، بيروت.
24. الأندلسي، محمد بن عبد الله بن مالك(2001م) شرح كتاب التسهيل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارقفتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت.
25. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ، ج5، دار الكتب العلمية.
26. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، ج3، عالم الكتب، بيروت.